

القَصَصُ الدِّينِيُّ

الحلقة الثالثة
قصص الخلفاء الراشدين

مَقْنَاكَ الْأَمَامَةِ

عبد الحميد جودة السحار

٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

(قرآن کریم)

اجتمع الحكماء أبو موسى الأشعري وعمرو
ابن العاص في دومة الجندل ، وخدع عمرو أبا
موسى ، فخلع أبو موسى عليا ، وثبت عمرو
معاوية ، ورأى علي أن الحكمين لم يحكما بما في
كتاب الله ، فطلب من أهل العراق التأهب
للخروج لقتال أهل الشام ، ولكن أهل العراق لم
يسمعوا له - كما هي عادتهم - بل طلبوا منه أن
يقاتل الخوارج ، ثم إذا انتهى منهم خرج لقتال
أهل الشام .

وانتصر علي على الخوارج عند النهروان ،
وتأهب للسير إلى الشام ، ولكن أنصاره تركوا

العسكرَ فارغا ودخلوا بيوتهم . وآن أوانُ الحجِّ ،
فأرسلَ عليٌّ عاملهُ ، على الحجِّ ، وأرسل معاويةَ
عاملهُ ، واختلف العاملان ، وكان بينَ الحُجَّاجِ ،
بعضُ الخوارج ، فاجتمعوا وقالوا :

— كان هذا البيتُ (الكعبة) معظماً في الجاهلية ،
جليلَ الشأنِ في الإسلام ، وقد انتهك هؤلاء (أى
عليٌّ ومعاوية) حرمةَ ، فلو أنَّ قومًا شرَّوا أنفسهم ،
فقتلوا هذين الرجلين اللذين أفسدا في الأرض ،
واستحلَّا حرمةَ هذا البلد ، استراحت الأمة ،
واختارَ الناسَ لهم إماما .

فقال عبدُ الرحمن بن ملْجَم :

— أنا أكفيكم عليا .

وقال الحُجَّاجُ بن عبد الله الصَّرَمي :

— أنا أقتلُ معاوية .

وقال زاذوَيْه :

— واللّٰه ما عمروُ بنُ العاص بدونِهما ، فانا به .
واتفقوا على يوم واحد يكون فيه القتل ، ثم انطلق
كلّ منهم الى صاحبه الذي توجه اليه .

٢

كانت قطامُ ابنةُ الشَّجَنَةِ فائقةَ الحسن ، وكانت
تكرهُ الإمامَ عليَّ بنَ أبي طالب ، فقد قتلَ أباهَا
وأخاها يومَ النَّهْرُوان ، يومَ قاتلَ الخوارج ، فكانت
لا تفكرُ إلّا في قتلِ عليّ ، والنّارِ لأهلِها .
وفي ذاتِ يومٍ جاءَ عبدُ الرّحمنِ بنُ مُلجَمٍ إلى
بعضِ الخوارج ، فرأى قطامَ عندهم ، فأسرهَ جماعِها ،
وشغلتَه حتّى كادت تُنسيه حاجته .
ومعكَنَ حبُّ قطامٍ من قلبِ ابنِ مُلجَمٍ ، فتقدّمَ
بخطبِها ، فقالت له :

— لا أتزوَّجُكَ حتّى تشفى لى .

— وما يشفيكَ ؟

— ثلاثةَ آلافٍ وعبدٌ وقبنةٌ .

وَقَتْلُ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ الْمَهْدِيِّ .

فَقَالَ ابْنُ مِلْجَمٍ :

- هُوَ مَهْرٌ لَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَاءَ بِي إِلَى هَذَا الْقَطْرِ

إِلَّا قَتْلُ عَلِيٍّ . فَلَكَ مَا سَأَلْتَ .

- إِنِّي أَطْلُبُ لَكَ مِنْ يَسْنَدُ ظَهْرِكَ ، وَيَسَاعِدُكَ

عَلَى أَمْرِكَ .

وَأَقَامَ ابْنُ مِلْجَمٍ عِنْدَ قُطَامٍ ، وَمَرَّتِ الْآيَامُ وَلَمْ

يَنْقُذْ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ . فَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا الْوَسَاوِسُ ،

وَخَشِيَتْ أَنْ يُحْجَمَ عَمَّا عَزَمَ . فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ

وَقَالَتْ :

- لَطَالَمَا أَحْبَبْتَ الْمَكَّةَ عِنْدَ أَهْلِكَ ، وَأَضْرَبْتَ

عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي جُنْتَ بِسَبَبِهِ .

- إِنَّ لِي وَقْتًا وَاعِدْتُ فِيهِ أَصْحَابِي ، وَلَنْ

أَجَاوِزَهُ . وَخَرَجَ ابْنُ مِلْجَمٍ فَلَقِيَهِ رَجُلٌ مِنَ

الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لَهُ :

- هَلْ لَكَ فِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟

- وما ذاك ؟

- تساعدني على قتل عليّ .

- ثكلتك أمك ، لقد جئتَ شيئاً إذا ، قد عرفتَ

غناؤه في الإسلام ، وسابقته مع النبيّ صلى الله عليه وسلم .

- ويحك ، أما تعلمُ أنه قد حَكَمَ الرجالُ في

كتاب الله ، وقتلَ إخواننا المُصلِّين ، فنقتله ببعضِ إخواننا .

- وكيف نُقدِرُ ويحك على قتلِ ابنِ أبي طالب ؟

- نكمنُ له في المسجدِ الأعظم ، فإذا خرج

لصلاةِ الفجر ، فتكنا به وقتلناه ، وشفينا أنفسنا منه ، وأدركنا ثأرنا .

فلم يَزَلْ به حتى أجابه . وذهب ابنُ مُلْجَم

وصاحبه إلى قُطَام ، وهي في المسجدِ الأعظم معتكفة ، فقالا لها :

- قد أجمعَ رأيُنا على قتلِ عليّ .

— فإذا أردتُم ذلك فأتوني .

٣

وَوَافِي الْيَوْمِ الَّذِي تَوَاعَدَ فِيهِ الْخَوَارِجُ عَلَى قَتْلِ
عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَعُمُرُو ، فَدَخَلَ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى
قِطَامٍ ، فَقَالَ لَهَا :

— هَذِهِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْتُ فِيهَا صَاحِبِي أَنْ يَقْتُلَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا صَاحِبَهُ .

وَجَاءَ ذَلِكَ الَّذِي أَجَابَهُ إِلَى الْإِشْرَاكِ مَعَهُ فِي قَتْلِ
عَلِيٍّ ، فَقَالَتْ لَهَا قِطَامُ : إِنْ ثَلَاثًا سَيُخْرِجُ مَعَهُمَا
لِقَتْلِ عَلِيٍّ ، وَجَاءَتْ بِالْحَرِيرِ فَعَصَبَتْهُمْ بِهِ ، وَأَخَذُوا
أَسْيَافَهُمْ ، وَذَهَبُوا إِلَى الْمَسْجِدِ ، لِإِغْتِيَالِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ .

وَخَرَجَ عَلِيٌّ ، وَجَعَلَ يُنْهَضُ النَّاسَ مِنَ النَّوْمِ إِلَى
الصَّلَاةِ ، وَيَقُولُ :
— الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ .

فَهَجَمَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمْ ، وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ
ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ بِالسَّيْفِ عَلَى قَرْنِهِ ، فَسَالَ دَمُهُ
عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَصَاحَ ابْنُ مُلْجَمٍ :

— لَا حَكَمَ إِلَّا لِلَّهِ ، لَيْسَ لَكَ يَا عَلِيُّ وَلَا
لِأَصْحَابِكَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ .

وَقَالَ عَلِيُّ :

— لَا يَفُوتُنْكُمْ الرَّجُلُ .

وَهَجَمَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ مُلْجَمٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
حَتَّى أَخَذُوهُ . وَحُمِلَ الْإِمَامُ ، حَتَّى إِذَا مَا اسْتَقَرَّ فِي
دَارِهِ قَالَ :

— عَلِيُّ بِالرَّجُلِ .

فَادْخَلَ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ :

— أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ ، أَلَمْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ؟

— بَلَى .

— فَمَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟

— شحذته أربعين صباحاً ، وسألت الله أن يقتل
به شرَّ خلقه .

— لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شرِّ
خلقه .

ونظر الإمام إلى الحسن ، وقال :

— أطبوا طعامه ، وألبسوا فراشه ، فإن أعشُ فانا
وليُّ دمي ، إمّا عفوت وإمّا اقتصصت ، وإن أمتُّ
فألحقوه بي ، ولا تعتدوا ، إنّ الله لا يحبُّ
المعتدين .

وخرج الحسنُ بابنِ ملجَم وهو مكتوف ،
فخرجت أمُّ كلثوم ابنة الإمام تكي وتنتحبُ
وتقول :

— يا عدوَّ الله قتلْتَ أميرَ المؤمنين .

— ما قتلْتُ أميرَ المؤمنين ، ولكن قتلْتُ أباك .

— والله إنّي لأرجو أن لا يكونَ عليه بأس .

- ولم تبكين إذن ؟ واللّه لقد أرهفتُ السيف ،
ونفيتُ الخوف ، وضربتُ ضربةً لو كانت بأهل
الشرق لأتت عليهم .

٤

وحمل صاحبُ معاويةَ عليه وهو خارجٌ إلى
صلاةِ الفجر ، فضربةً بخنجر مسموم ، فجاءت
الضربةُ في وركه ، وأمسك بالرجُل ، وجيء به
إلى معاوية ، فقال :

- اتركني ، فإنّي أبشرك ببشارة .
فقال معاوية :

- وما هي ؟

- إنّ أخى قتل في هذا اليوم علىّ بن أبى
طالب .

- فلعلّه لم يقدر عليه !

- بلى ، إنّهُ لا حرسَ معه .

وأمر معاويةُ به فقتل .

وأما صاحبُ عمرو ، فإنه كَمَنَ له ، ليُخرجَ إلى
الصَّلَاةِ ، فاتفقَ أنَ عرضَ لعمروَ بنِ العاصِ مِغْصَ
شديدةً في ذلكَ اليومِ ، فلمَ يُخرجْ إلا نائِبَهُ إلى
الصَّلَاةِ ، وهو خارجةُ بنُ أبي حَبِيبَةَ ، فحملَ عليه
الرَّجُلُ ، فقتله وهو يعتقدهُ عمروَ بنَ العاصِ ،
وقُبِضَ على الرَّجُلِ ، وجيءَ به إلى عمرو ، فقال :
- أردتُ عمراً وأراد اللهُ خارجةً .

فأمر عمروُ به فضربتَ عنقه .

ونجى معاويةَ وعمرو ، وراح الإمامُ يعاني
سَكَراتِ الموتِ .

٥

دخلَ الناسُ على الإمامِ يسألونه ، فقالوا :

- يا أميرَ المؤمنين ، أرايتَ إنْ فقدناكَ

- ولا نفقدُكَ - أنبايعُ الحسنَ ؟

- لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر .

— أَلَا تَعْهَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ (أَيُّ أَلَا تَعَيَّنُ
الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِكَ) .

— لَا ، وَلَكِنْ أَتْرَكُهُمْ كَمَا تَرَكَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

— فَمَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا أَتَيْتَهُ ؟

— أَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَبْقَيْتَنِي فِيهِمْ مَا شِئْتَ أَنْ
تُبْقِيَنِي ، ثُمَّ قَبَضْتَنِي وَتَرَكْتُكَ فِيهِمْ ، فَإِنْ شِئْتَ
أَفْسَدْتَهُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ أَصْلَحْتَهُمْ .

ثم دَعَا ابْنَهُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، فَقَالَ :

— أَوْصِيَكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ
بَغْتُمَا ، وَلَا تَبْكِيَا عَلَى شَيْءٍ زُوِيَ عَنْكُمَا ، وَقُولَا
الْحَقَّ ، وَارْحَمَا الْيَتِيمَ ، وَأَغْنِيَا الْمَلْهُوفَ ، وَاصْنَعَا
لِلْآخِرَةِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا ، وَلِلْمَظْلُومِ
نَاصِرًا ، وَاعْمَلَا بِمَا فِي الْكِتَابِ ، وَلَا
تَأْخُذْكُمَا فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تَمُ .

وَوَهَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَاحَ الرَّجُلُ الْعَظِيمُ بِجُودِ
بِأَنْفَاسِهِ ، فَخَشِيَ أَنْ يَطِيشَ الْغَضَبُ بِعَقُولِ بَنِيهِ ،
فَقَالَ لَهُمْ :

- يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ : لَا أَلْفِينُكُمْ تَخَوْضُونَ دِمَاءَ
الْمُسْلِمِينَ ، تَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَتَلَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا لَا يُقْتَلُ إِلَّا قَاتِلِي .

ثُمَّ رَاحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرُدُّ :

- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . . لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ . «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»

وَلَفِظَ الْإِمَامُ نَفْسَهُ الْأَخِيرَ ، فَمَاتَ خَيْرُ أَهْلِ
زَمَانِهِ ، وَانْتَهَى بِمَوْتِهِ عَهْدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَبَدَأَ
مَعَاوِيَةُ فِي الشَّامِ تَأْسِيسَ دَوْلَةِ الْأُمَوِيِّينَ .

وَخَرَجَ الْحَسَنُ إِلَى النَّاسِ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ سُودٌ ،
فَقَالَ وَهُوَ يَغَالِبُ دُمُوعَهُ :

- لقد قُبِضَ في هذه الليلة ، رجلٌ لم يَسْبِقْهُ
الأولون ، ولا يُدْرِكُهُ الآخرون . لقد كان يُجاهد
مع رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلّم وآله ،
فيسبِقُهُ بنفسِهِ ، وقد كان يوجِّهه برايته ، فلا يرجعُ
حتى يفتحَ اللَّهُ عليه ، ولقد تَوَفَّى في الليلة التي
عُرج فيها بعيسى بن مريم (أى في الليلة التي رُفِعَ
فيها عيسى إلى السماء) ولا خَلْفَ صفراء ولا
بيضاء ، إلا سبعمائة درهم من عطائِهِ ، أراد أن
يبتاع بها خادماً لأهله .

ثم خنقته عِبْرَاتُهُ ، فبكى ، وبكى الناسُ معه .
وبعثَ الحسنُ إلى ابنِ مُلْجَمٍ ، فقال للحسن :
- إني واللَّهِ ما أعطيتُ عهداً إلا وفيتُ به ، إني
كُنْتُ قد أعطيتُ اللَّهَ عهداً أن أقتلَ عليّاً ومعاوية
أو أموتَ دونَهُما ، فإن شئتَ خلَّيتَ بيني وبينه ،
ولم عليَّ عهدٌ لَّهِ إن أنا لم أقتله ، أو قتلته ثم
بقيت ، أن آتيكَ أضعُ يدي في يدك .

- أما والله حتى تعاین النار فلا .
وقُتِلَ ابنُ مُلْجَمٍ ، فأخذه الناس ، ثم أحرقوه
بالنار ، لعلَّهم يَشْفُونَ نفوسَهُم التي كانت ترعى
النارَ فيها حزناً على الإمام العظيم ، الذي كان
خيرَ أهلِ زمانه .